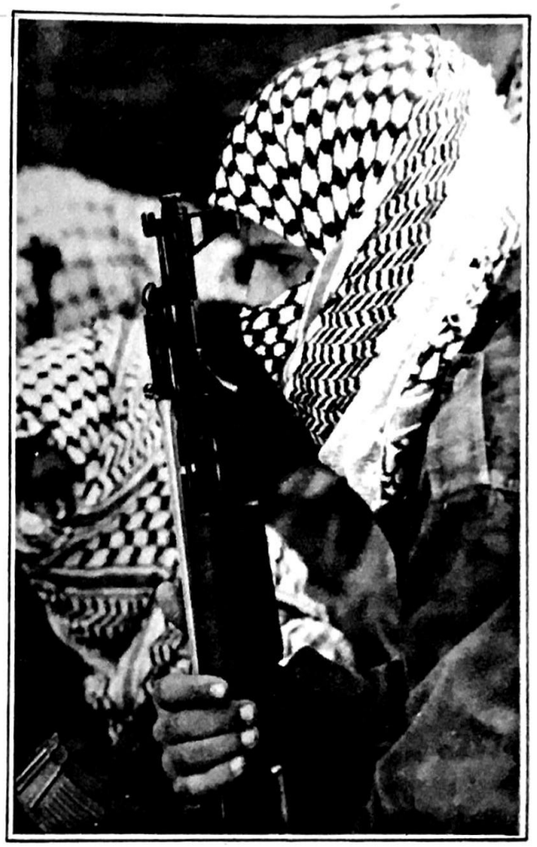

اصبح من الملح واكثر من اي وقت تجديد الحديث عن هذا الموضوع ليس لانه كان مهملا او في الموقع الثانوي المرتبط في مسألة الصراع على امتداد الساحة الفلسطينية ـ العربية ، وهو الموضوع الذي فاضت الاقلام في تجاذبه شرقا وغربا ، يمينا ويسارا بزخم واسع ، دون ان يصل ذلك الى حد وضع الدروس المستخلصة من التجربة الميدانية الى حد الالزام البرنامجي المتكامل ، بل جرى التحايل عليها بأساليب التوائية : اولها تحويل ما حدث في السبعينات وتحديدا من معارك مواجهة دموية مع النظام الاردني الى حالة مستديمة من الندب وشتم الحظ العاثر ، وثانيها البحث عن طرق المصالحة واللقاء مع النظام تحت ذرائع المتغيرات ـ وهي التي لتغير من حقيقة وموقع النظام في شيء ـ بحجة البحث عن فرصة العودة للنضال من ساحة اساسية ، وثالثها وعلى المستوى الرسمي تحديدا ايجاد المخارج السياسية والتقوية الاقتصادية للنظام وفك عزلته قصيرة العمر الى فتح بوابات الانطلاق الرحب في الساحة السياسية العربية ، واحيانا التمثيل على المستوى الدولي باسمها ، وهنا السؤال : ماذا كان جوابنا على هذه المسألة الهامة ؟ كيف فهمنا اساسية هذا الموقع لمهامنا النضالية الوطنية ؟ ماذا نعني بأن الاردن حلقة مركزية في برنامجنا ؟ اسئلة تحتاج الى وقفة امام كل عنصر فيها وعوامله المتجددة ومحركاته الاقتصادية والسياسية ،

حول أهمية الساحة الاردنية للنضال الوطني الفلسطيني وموقف الجبهة الشعبية من هذه المسألة في ضوء ما هو قائم

بقلم : أبو علي مصطفى
عضو المكتب السياسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

اولا :

في التحديد العيني الواضح لطبيعة النظام الاردني وبنيانه منذ نشأته ، تؤكد يوما بعد يوم ، ان الانتماء الموضوعي والعملي له ، هو في صلب الحركة المضادة للثورة وليس على هامشها ، قد يلجأ البعض الى قراءة رقمية اكاديمية في تشخيص جزئي ، دون ادراك الوظائف المحددة للنظام سواء التي قام او سيقوم بها في تعطيل المهمات النضالية لحركة التحرر او عرقلتها ووضع الالغام في طريقها ، وقد برع في هذا الميدان وابتدع ، وانتقل على طول الثلاثين عام الماضية ، من المحمية تحت التاج البريطاني الممثل بصولجان (الجنرال بك)، في العشرينات الى عصره الذهبي بتصدير ادوات القمع لحركات التحرير ، ودعم المد اليميني الرجعي في عمان والخليج والجزيرة ، سواء اخذت شكل القوات المجوقلة او الخبراء الدارسين في معاهد (السي آي أي) في الولايات المتحدة الامريكية .

ليست هذه صورة الانتقال الوحيدة التي شابت المظهر الرئيسي لسياسات النظام ، بل مثل في حركته الدائمة في معسكر الثورة المضادة قفزة نوعية اخرى ، حيث اقتصر دوره في الثلاثينات ، على اغلاق الممرات والمنافذ في وجه الحركة الوطنية الفلسطينية ، عندما اشتدت عضلاتها في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، الى دور آخر في انتقاله الى جسر موصل للجسم الصهيوني بالجسم العربي سواء اخذ الشكل المتطور لهذا الدور ، تنظيم السياحة وبرمجة تبادلها او في الشكل الارقى اقتصاديا بتنقل البضائع والرساميل واليد العاملة ، مدعما لهذه الحركة بعلاقة سياسية معلنة ومستترة .

ثانيا :

ان ربط فهم مسألة العلاقة مع النظام الاردني بالموضوع الفلسطيني من زاوية الفهم الجزئي لاحداث السبعينات ، فهم غبي من الكعب وان قصد او تقصد هذا الغباء . وهذا الفهم يحمل مضامين خطيرة اساسها السياسي مقولة التعايش مع النظام على ارض واحدة ، بدلا من الصراع معه على الارض الواحدة ، وما يدحض هذه المقولة بأساسها السياسي وتاريخها الزمني ، ممارسات النظام المتعددة على هذه الجبهة .

أ ـ ان دوره المعرقل للثورة بدأ منذ العشرينات في نفس الفترة الزمنية التي احيي فيها وعد بريطانيا البلفوري « بوطن قومي لليهود في فلسطين » حيث تشكلت قوة الحدود من حرس الزنار الاحمر ، وهي الشهيرة بشدة بأسها تماما كشهرتها بشدة تخلفها .

ب ـ في الثلاثينات حملت الشواهد الكثيرة بصمات النظام الاردني في لعب دور وتشكيل عامل خارجي في افشال الثورة بدأ من ممارسة القمع للثوار وانصارهم في شرق الاردن ، واغلاق المنافذ للامداد ، مرورا بتسليم العديد منهم لسلطات الانتداب البريطاني (يوسف ابو درة) وتتويجا بدور الملك عبد الله السياسي في رسائله الشهيرة ونداءاته بالاتكال على وعود بريطانيا الصديقة ، وهنا نقدم نص النداء الذي اوكل لحكومة آلملك عبد الله بحكم موقع الاردن الالزام به .

« حضرة رئيس اللجنة العربية العليا .. الى ابنائنا عرب فلسطين

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين . فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد الى السكينة حقنا للدماء .

معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل . وثقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

الموقعين : الملك عبد العزيز آل سعود ، الملك غازي بن فيصل ، الامام يحيى حميد الدين ، الملك عبد الله آلحسين .

التاريخ ٨ ـ ١٠ ـ ١٩٣٦

فماذا كانت تعني بريطانيا بحسن نواياها ؟ غير الاستمرار في تدعيم كل الوسائل لتنفيذ وعد بلفور على ارض فلسطين . وماذا عن الاخلاد الى السكينة ؟ سوى الدعوى لالقاء السلاح .

وماذا عن المساعدة ؟ سوى ان تساعد بريطانيا في استكمال مهماتها بهدوء وراحة تامة .

وماذا عن العدل ؟ سوى عدل الملوك الرجعيين ، الذي يقوم على قاعدة الانصياع التام للاستعمار ، واستمرار التجهيل والفقر والتوزيع القبلي واقامة القوانين العشائرية .

ج ـ كانت القرارات العربية يطوف بها عزام باشا ، لادخال جيوش العرب من اجل انقاذ فلسطين ، العرب الرجعيين الذي تجاهلوا اقامة الكيان الصهيوني بالتساعد مع الاستعمار بأيديهم ، هؤلاء وعلى رأسهم نظام الاردن ، سارعوا لدعوى النجدة ومنهم عبد آلله بن الحسين ، ادخل جيشه أو بعض جيشه الصغير لانقاذ فلسطين وعلى رأسه اربعين ضابط منهم خمسة وثلاثين ضابط بريطاني من ذوي الرتب النافذة وخمسة ضباط عرب رتب صغيرة (عودة لقراءة مجلدات عارف العارف المؤرخ الفلسطيني) . وكانت المهمة الاولى لهذا الجيش ايقاف العمل آلمسلح الفلسطيني وحل جيش الانقاذ والجهاد المقدس ومطاردة فرقة التدمير في القدس ، تحت دواعي انتظام المواجهة ، وتعزيز الانضباط ، وتولي الجيش لمسؤولياته ، فكانت المواجهة على خير ما يرام ولكن مع من ؟ مع شعب فلسطين ، مع تجريده من آلسلاح ، مع ترويضه للهزيمة ، مع استسلامه لمشيئة الانظمة ، ثم والاهم من ذلك لتحصيل حصة آلملك عبد الله لجزء من ورثة الرجل الميت أو الذي اماتوه ، لتوسيع رقعة مملكته الضعيفة المقومات ، ولتوكيله باقامة الحاجز المناسب ، ليتناسب مع المعطيات الجديدة .

د ـ في الخمسينات ومع بدايتها اخذ النظام الدور السياسي الاحتوائي المتقدم فيما سمي بمبايعة الملك في مؤتمر اريحا الشهير ، الموقع عليه من رهط الرجعيين الفلسطينيين .

وما عقب ذلك طيلة الخمسينات والستينات على ايدي النظام الاردني وادواته القمعية من تذويب للشخصية الوطنية الفلسطينية ، وتبديد لتجمعاته بالهجرة والتشريد ، وهدم مؤسساته الاقتصادية ، وتعطيل دائم لاي مبادرة نضالية ، هذا على الرغم من التطورات السياسية التي حدثت في عموم المنطقة فيما بين الخمسينات والسبعينات .

و ـ ثم تجددت الهزيمة على نحو اكثر وضوحا في ملامسة العقل العربي ، وجاء حزيران ١٩٦٧ ليحمل في ثناياه سقوط كامل للبرامج العربية اليمينية وسياسات الانظمة ، وحمل ايضا بنتائجه بروز ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني على نحو متقدم للصفوف خارقا ليل الهزيمة بآمال عريضة في شق الطريق وعصا الطاعة على البرامج العربية اليمينية ، وتقديم البديل الثوري باعتماد حرب الشعب كوسيلة لتحقيق الانتصار على العدو الصهيوني ، وعلى الرغم من نواقص البديل وعثراته الا انه كان يعني الشيء الكثير لهذه الانظمة ، تماما كما كان يعني الشيء الكثير لجماهيرنا العربية ، وان كانت قبلت الانظمة العربية المقلومة الاظافر وصمتت على البداية ، فبالتأكيد لن تسكت على الاستمرار ، حتى لا تشاهد النهاية .

وللنظام الاردني الذراع الطويل في الصفع والقمع فلا بد من تخطيط لمواجهة الظاهرة وتطويق تفاعلاتها وتدمير آثارها ، كانت بداياته معارك تمرينية متعددة من الاغوار في بداية عام ١٩٦٨ ثم الانكفاء على نفسه ، وفي عمان ٤ / ١١ / ٦٨ ثم الانكفاء ثم اربد والزرقاء والجنوب ، ليعود بعد كل معركة الى اتفاق همس يستخدمه في تبكيل لثغرات في مخططه الاساسي ، الذي يقوم على ركيزة « لا تعايش مع المقاومة الفلسطينية على ارض واحدة » ادخل في ذلك التكوين لمخططه عوامل مساعدة خارجية ، وعلى المستوى العربي تحديدا ، حيث لم تعد المقاومة حدود فعلها جغرافيا ، بل امتدت بآفاقها السياسية لتؤلف في محصلة حركتها الدينمو المحرك لانوية ومشاعر ثورية في عموم المنطقة على المستوى العربي ، ولتنزع من يد النظام ورقة الملكية على